قضايا إنكار النسب حكم إعدام على براءة الأطفال

الأبناء يدفعون ثمن خطايا الكبار تنمرا في مُجتمعات تميل إلى القسوة

يؤكد علماء النفس أن إثارة قضايا النسب تتسبب في هزات نفسية للأطفال وتمس من حقهم في الحفاظ على هوياتهم وأسمائهم وصلاتهم العائلية بشكل يهدد استقرارهم الاجتماعي. كما يؤكد علماء الاجتماع أن السنوات الأخيرة شهدت نموا واضحا لقضايا النسب، من خلال إقامة أزواج لدعاوى إنكار نسب ضد زوجاتهم، بسبب التشكيك في سلوكهن.

قضايا إثبات النسب تقوض بنيان الأسرة

مصطفى عبيد
كاتب مصري

تُثير قضايا النسب أزمات اجتماعية عميقة في بعض الدول العربية، وتتجاوز الزوج والزوجة، لتمتد إلى الأطفال أنفسهم، ما يُمثل حكما بالإعدام على براءتهم، وتهديدا مباشرا لاستقرارهم النفسي والاجتماعي.

وإذا كان من المعتاد في ظل انتشار ظاهرة الزواج العرفي في بعض المجتمعات قيام سيدات يتعرضن للخداع من أزواجهن بإقامة دعاوى إثبات نسب لأبنائهن مع ضياع المستندات الدالة على الزواج، فإن السنوات الأخيرة شهدت نموا واضحا للجانب العكسي من قضايا النسب، من خلال قيام أزواج بإقامة دعاوي إنكار نسب ضد زوجاتهم، بسبب التشكيك في سلوكهن.

وشهدت الظاهرة نموا واضحا للدعاوي القضائية الخاصة بإنكار النسب، ففي مصر وطبقا للإحصائيات الرسمية في عام 2019، فإن عدد قضايا النسب تجاوز 15 ألف قضية، ثلثها تقريبا مقامة من الأزواج لإنكار نسب الأبناء.

وفي المغرب تشير أرقام وزارة العدل إلى ارتفاع حالات الطلاق إلى أكثر من مئة ألف حالة سنويا، وطبقا لمصادر قانونية، فإن 10 في المئة من تلك الحالات تشهد دعوات إنكار نسب بعد الطلاق.

> **ضرورة تقييد دعاوى إنكار النسب للمتزوجين رسميا وإحاطتها بنوع من السرية حفاظا على مشاعر الأبناء من التأذي**

وفي الأردن أدى تعديل قانون الأحوال الشخصية مؤخرا واعتماد نتائج فحص الحمض النووي (DNA) إلى إثبات نسب 99 طفلا خلال الفترة من 2016 إلى 2019، غير أنه لا توجد مؤشرات تخص استخدام الفحص نفسه في إنكار نسب أبناء إلى أبيهم.

أما في الجزائر فقد رصدت مواقع حقوقية اتساع قضايا إنكار النسب والملاعنة خلال السنوات الأخيرة، ما يمثل مشكلة مؤرقة للمجتمع ومثيرة للجدل بين الحقوقيين والباحثين الاجتماعيين.

وتضمن اتفاقية حقوق الطفل التي أقرتها الأمم المتحدة في عام 1989 حصول الطفل على اسم وجنسية فور ولادته، وتنص المادة الثامنة من الاتفاقية على احترام حق الطفل في الحفاظ على هويته واسمه وصلاته العائلية، وفي حال حرمانه من تلك الحقوق فإن واجب الدولة مساندته ودعمه.

وتتباين قوانين الأحوال الشخصية في العالم العربي للتعامل مع دعاوى النسب من خلال الحمض النووي، إذ ترفض معظم الدول الأخذ بنتائج التحليل في الدعاوى الخاصة بإنكار النسب.

ويرجع السبب في ذلك إلى وجود قناعة لدى المشرّع بأن نتائج فحوصات الحمض النووي، مع ارتفاع نسب دقتها، غير يقينية، وهناك احتمالات ضئيلة جدا لوجود الخطأ، لكن تلك الأخطاء تتسبب في كوارث اجتماعية.

الطفل للفراش

حكى شاب مصري في الثلاثينات من عمره، يقيم في محافظة الجيزة، بجنوب القاهرة، لـ"العرب"، أنه تزوج قبل سنوات من فتاة تعرف عليها عن طريق أحد الأقارب، وعاشا معا لمدة ثلاث سنوات أنجب خلالها طفلة وحيدة، ثُم نشب خلاف بينهما نتيجة عمله في قرية سياحية نائية مطلة على البحر الأحمر، ووصل الأمر بينهما إلى الطلاق.

وأضاف، أنه تزوج مرة ثانية، لكنه لم يُنجب لثلاث سنوات، ما دفعه إلى إجراء فحوصات طبية شاملة، انتهت إلى إثبات إصابته بعقم ثانوي منذ صغره، ما أكد أنه غير قادر على الإنجاب.

وأضاف أنه لجأ إلى القضاء وأقام دعوى إنكار نسب الطفلة التي تحمل اسمه، لكن لم يتم الفصل فيها حتى الآن، ولا يزال يبحث عن الحقيقة.

وتمتد دعوات إنكار النسب في المحاكم المصرية وفقا لحقوقيين إلى ثلاث وأربع سنوات، ويُحكم في غالبية القضايا برفض إنكار النسب، مادام الزواج قائما على عقد رسمي صحيح.

وعرفت مواقع التواصل الاجتماعي بعض القضايا التي مثلت في الآونة الأخيرة قضايا رأي عام نظرا لغرابتها وعدم اعتيادها، كان من بينها قضية محمد هادي، الذي امتد زواجه لـ11 عاما، وكان يعمل في دولة خليجية ويعود لمدة شهر كل عام، وأنجب ثلاثة أطفال.

وقبل شهور أرسل إليه شخص مجهول رسالة تدعي خيانة زوجته، ما دفعه للعودة إلى مصر وإجراء فحوصات الحمض النووي له ولأبنائه الثلاثة، ليكتشف بأنه ليس الوالد الحقيقي لأي منهم.

وأقام الزوج المصدوم دعوى زنى على زوجته، وحصل بالفعل على حكم بسجنها لثلاث سنوات، إلا أن محكمة الأسرة رفضت دعواه الأخرى بإلغاء نسب الأبناء الثلاثة له، استنادا لقاعدة فقهية تُسمى "الولد للفراش".

ولا توجد شروط محددة واضحة لإقامة دعاوى إنكار النسب، فهناك بعض الأزواج الذين يلجأون إلى إقامة مثل هذه الدعاوى كنوع من التجريح المتعمد والضغط على مطلقاتهم للتنازل عن حقوقهن القانونية.

وحفلت المحاكم المصرية بقضايا نسب لفنانين وفنانات، أبرزهم أحمد الفيشاوي وطليقته هند الهناوي التي أنجبت طفلة من زواج عرفي تم بينهما، وأثبتت نسبها إليه بعد رحلة طويلة من المماطلة والمعاناة، كذلك تخوض الفنانة زينة صراعا مع الفنان أحمد عز بسبب إثبات نسب طفلين له.

الأبناء يدفعون الثمن

يرى حقوقيون وخبراء تنشئة أن الأطفال هم الأكثر تضررا من قضايا إنكار النسب، لأنهم يواجهون نظرات تنمر مجتمعية قاسية.

يقول أحمد عفت المحامي المتخصص في قضايا الأسرة بالقاهرة، لـ"العرب"، إن مجرد إقامة دعوى إنكار النسب يمثل جرحا لمشاعر الصغار، ما يُلزم إحاطته بسياج من السرية والخصوصية.

ويظل الأبناء المختلف على نسبهم قضائيا محل تهكم وسخرية من فئات في المجتمع المحيط بهم ليشبوا غير أسوياء، ويتملكهم الحقد تجاه الآخرين.

وفي بعض الحالات فإنهم يعانون من عزلة مجتمعية بسبب توجيه الأسر لأبنائها بعدم الارتباط بصداقتهم في ظل سيادة تصورات مغلوطة عن الأبناء المشكوك في نسبهم.

وتشير نُهى محمد الخبيرة بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية، لـ"العرب"، إلى أنها تابعت حالات عديدة لأطفال عانوا من عقد نفسية حادة، نتيجة إقامة آبائهم دعاوى إنكار نسب لم تكن في الغالب صحيحة.

ويرى البعض ضرورة تقييد دعاوى إنكار النسب للمتزوجين رسميا وإحاطتها بنوع من السرية حفاظا على مشاعر الأبناء، خاصة أن هناك محامين كثر يقنعون موكليهم بإقامة تلك القضايا للتهرب من نفقات أبنائهم، أو لإرهاب مطلقاتهم والكيد لهن.

وقالت دار الإفتاء المصرية ردا على سؤال تلقته حول جواز فحص الحمض النووي عند الاشتباه في المواليد بأنه "يجوز إثبات النسب بالبصمة الوراثية إذا كان ذلك في عقد زواج صحيح مراعاةً لحق الطفل، وإحياءً للوَلد، وحَمْلًا لحال المرأة على الصلاح، كذلك في حالة التنازع على مجهول النسب، والاشتباه في المواليد وأطفال الأنابيب، وفي حالة ضياع الأطفال وحدوث الحوادث أو الكوارث وصعوبة التعرف عليهم، أما في حالة الزنا فلا يثبت نسب الطفل إلى الزاني أصلا، وإنما يُنسب لأمه فقط، لأن ماء الزنا هدر؛ أي لا يُعتد به شرعا".

ويعني هذا أن الرأي الديني ينتصر لاستخدام العلم الحديث في إثبات النسب، بينما يرفض استخدامه في نفي النسب، وينطلق ذلك من احترام حقوق الطفل والحرص عليها.

توتر العلاقة بين الأبوين يؤدي إلى ضعف التحصيل الدراسي للطالب

لندن - تعتبر الأسرة أول الجماعات التي يعيش فيها الطفل ويشعر بالانتماء إليها ويتعلم كيف يتعامل مع الآخرين كما تعتبر المسؤولة عن توفير الاستقرار المادي والنفسي والاجتماعي للطفل، مما يؤثر على حياته المستقبلية خاصة الجانب التعليمي منها ونجاحه في المدرسة.

ويؤكد خبراء علم النفس أن العلاقات الجيدة بين أفراد الأسرة تنعكس إيجابا على التحصيل العلمي للأطفال في حين يتسبب توتر العلاقات بين الأبوين في تعكر الأجواء الأسرية حيث يسودها التشنج والتوتر والذي غالبا ما يؤدي إلى التفكك الأسري، ما يؤثر عميقا في نفسية الطفل الذي يتأخر دراسيا جراء معاناته من القلق الشديد ونقص الدافع والاهتمام للتعلم.

وقال راشد سعيد المهيري، مدير مكتب منطقة الشارقة الطبية، بالإمارات إن خلافات الزوجين لا بد أن تظل في حدود ضيقة لا تصل إلى الطلاب، الذين يختلف تأثرهم بها باختلاف المرحلة العمرية التي يمرون بها ودرجة الإدراك والفهم الموجودة لديهم.

وأكد المهيري أنه كلما كان الطالب في مرحلة مبكرة من الدراسة، أي في المرحلة الابتدائية كلما زاد تأثير هذه الخلافات عليه، مضيفا أن الشرود أثناء الحصة المدرسية والبحث عن رفاق يسمعون المشكلات ويشاركون صاحبها البحث عن الحلول، هي أهم ما يواجهه التلميذ الذي يعتبر والداه المنزل مسرحا لخلافاتهما الزوجية.

وأشار المهيري إلى أن درجة الاستيعاب التي تتوافر لدى التلميذ ترتبط بمدى انشغال ذهنه بقضايا لا علاقة لها بالدراسة ولا المراجعة، وكلما قل الهامش المخصص للدراسة نتيجة تفكيره في خلافات والديه، كلما ازدادت احتمالات تعرضه للفشل والرسوب.

بدورها شددت عفاف المنصوري الطبيبة النفسية للأطفال والمراهقين، على أن الضغط النفسي الذي يسلط على التلميذ بسبب توتر العلاقة بين أبويه يتسبب في تشتيت تركيزه داخل القسم ويفقده القدرة على الانتباه، وهو ما يؤثر في تحصيله العلمي.

ولفتت المختصة في تصريح صحافي إلى أن توتر العلاقة بين الأب والأم خاصة خلال السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل غالبا ما ينتج عنها تقصير في الإحاطة بالطفل وهو في أمسّ الحاجة لها، حيث أنه خلال هذه الفترة العمرية يحتاج إلى تنمية قدراته اللغوية والعقلية وإدراكه وذكائه العاطفي.

وأكدت أن السنوات الأولى من عمر الطفل هي التي ستحدد شخصيته لاحقا وهي التي ستعزز مناعته النفسية ضد أي مشكل يعترضه في الحياة وحاجته إلى عطف أبويه وحنانهما كبيرة جدا في هذه المرحلة.

> **الهامش المخصص للدراسة كلما تقلص نتيجة تفكير الطفل في خلافات والديه تزداد معه احتمالات تعرضه للفشل والرسوب**

ويربط خبراء الأسرة والطفولة، تراجع التحصيل الدراسي لعدد من التلاميذ بعدة عوامل تعود إلى معاناة الطفل من مشاكل نفسية وصحية من جهة، وإلى الثغرات والنقائص المتعلقة بالمناهج التربوية وبالتدريس من جهة أخرى، لكن يبقى توتر العلاقات داخل الأسرة من أبرز هذه العوامل، وذلك بسبب تحولها في العديد من الحالات إلى مصدر تهديد للطفل جراء تنامي التوتر والشجار والعنف داخلها.

ويؤكد خبراء علم النفس أن الطالب الذي يعاني من مشاكل أسرية يتواجد في الفصل أثناء الدرس تواجدا بدنيا فقط، وعقله بالكامل مشغول بالمشاحنات التي تتم بين والديه قبل لحظات من مغادرته في الطريق إلى المدرسة. كما أنه سيصبح عرضة للتعرف على أصدقاء السوء.

الاستقرار النفسي للطالب مسؤولية الأسرة

جمال

حيل بسيطة للحفاظ على المكياج مع ارتداء الكمامة

أشارت الرابطة الألمانية لمنتجات العناية بالجسم والمنظفات إلى أن الكمامة أصبحت جزءا من الحياة اليومية في ظل انتشار فايروس كورونا، إلا أنها قد تسبب إزعاجا للمرأة بشكل خاص عندما يلتصق بها أحمر الشفاه أو المكياج، وقد أوضحت الرابطة الألمانية بعض الحيل البسيطة للتغلب على هذه المشكلة.

أوضح خبراء مستحضرات التجميل بالرابطة الألمانية أنه من الأفضل استعمال أحمر الشفاه غير اللامع أو المنتجات ذات التركيبة ثنائية المراحل، كما يمكن لعشاق القوام الكريمي استعمال أقلام أحمر الشفاه، التي يتم إصلاحها ببودرة سائبة شفافة، وأوصى الخبراء أيضا باستعمال اسبراي التثبيت، والذي يمكن رشه على المكياج ، كما يمكن وضع محدد الشفاه على الشفاه بالكامل، ولن تترك الشفاه أي بقع على الكمامة، نظرا لارتفاع نسبة الشمع الموجودة في محدد الشفاه.